ISTANBUL KALKINMA AJANSI

TÜRKİYE CUMHURİYETİ KALKINMA BAKANLIĞI

Bu eserin;

kataloglanması, dijital ortama aktarılması ve

elektronik ortamda kullanıma sunulması

İstanbul Kalkınma Ajansı (İSTKA)'nın desteğiyle

İBB Kültür ve Sosyal İşler Daire Başkanlığı

Kütüphane ve Müzeler Müdürlüğü (Atatürk Kitaplığı)

tarafından gerçekleştirilmiştir.

Proje No	:	İSTKA/2012/BIL/233
Destek Programı	:	Bilgi Odaklı Ekonomik Kalkınma Mali Destek Programı
Projeyi Destekleyen	:	İstanbul Kalkınma Ajansı (İSTKA)
Proje Adı	:	Osmanlı Dönemi Nadir Eserlerin Kataloglanması, Dijital Ortama Aktarılması ve Elektronik Ortamda Kullanıma Sunulması
Proje Sahibi Kuruluş	:	İBB Kültür ve Sosyal İşler Daire Başkanlığı
Proje Yüklenicisi	:	Yordam BT Ltd. Şti.
Proje Uygulama Yeri	:	Kütüphane ve Müzeler Müdürlüğü - Atatürk Kitaplığı İSTANBUL – Beyoğlu

İSTANBUL BÜYÜKŞEHİR BELEDİYESİ

نفحات الامداد

على

نونية سيدنا الامام الصياد

« رضي الله عنه »

تأليف العلامة الفهامة * ذي الجناحين * ملتقى البحرين * جامع الشرفين * رب الكمالات الفريدة * والتصانيف الباهرة المفيدة * حضرة صاحب السماحة والسيادة * والفضائل الكثيرة الافادة * ألا وهو الاستاذ الجليل السيد محمد ابو الهدى افندي الصيادي * الرفاعي الحسيني ثم الخالدي * اعز الله بالتوفيق مجده وكماله * وايد بالعناية الصمدانية اطواره واحواله * آمين

طبع « بمطبعة المعارف » في بيروت







نفحات الامداد

على

نونية سيدنا الامام الصياد

« رضي الله عنه »

تأليف العلامة الفهامة * ذي الجناحين * ملتقى البحرين *
جامع الشرفين * رب الكمالات الفريدة * والتصانيف
الباهرة المفيدة * حضرة صاحب السماحة والسيادة *
والفضائل الكثيرة الافادة * ألا وهو الاستاذ الجليل
السيد محمد ابو الهدى افندي الصيادي * الرفاعي
الحسيني ثم الخالدي * اعز الله بالتوفيق مجده
وكماله * وايد بالعناية الصمدانية
اطواره واحواله * آمين

طبع « بمطبعة المعارف » في بيروت



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده * والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا ومولانا ونبينا محمد الذي لا نبي بعده * وعلى آله واصحابه * واتباعه واحزابه اجمعين *

اما بعد فيقول العبد الضعيف محمد ابو الهدى الصيادي الرفاعي * كان الله له عوناً وحصناً في جميع الدواعي * ولوالديه وللمسلمين . قد سألني بعض الاخوان * أصلح الله لي ولهم الحال والشان * ان اكتب شرحاً وجيزاً على نونية سيدنا وملاذنا القطب الأعظم * والغوث المقدم * سلطان العارفين * بهجة آل الامام زين العابدين * تاج الواصلين * كوكب ائمة الأقطاب الافراد * عز الملة والشريعة والحق والدين مولانا السيد احمد الصياد الرفاعي الحسيني رضي الله تعالى عنه وعنا به * لما تضمنته تلك القصيدة الفريدة من المقاصد الشريفة * والمعاني اللطيفة * والرقائق والحقائق * والدقائق والطرائق * والاساليب النظرية * واللطائف المعنوية * وها هي بنصها المبارك :

قُمْ يا نَدِيمي فهذا الحبُّ يسقيني * خمراً بهِ طابَ سكري قبلَ تكويني
لقدْ سقاني فأحياني وحيَّرني * وغبتُ ما بينَ تلويني وتمكيني
لمَّا حباني بها صهباءَ صافيةً * عُدِدْتُ في القومِ من زُهرِ السلاطينِ
أخذتُها ويدُ الإقبالِ ترفعُها * إرثاً صريحاً عنِ الغرِّ الميامينِ
حتى جلاها أبو العباسِ أحمدُ في * كأسٍ ترقرقَ من آياتِ ياسينِ
لها رجالٌ بصدقِ الحالِ تشربُها * يومَ الحروبِ تراهمْ كالشواهينِ
جدِّي الرفاعيُّ للساداتِ روَّقها * تجلى معرقةً من غيرِ تنوينِ
بعزمهِ وبصدقِ التائبينَ لهُ * دارتْ من المغربِ الأقصى إلى الصينِ
الجدُّ أوصى بها ألا يسمحونَ بها * إلا لصدرٍ عظيمٍ في الدواوينِ
الجدُّ أوصى بها تحمى بخاتمها * محجوبه عنْ قليلِ العقلِ والدينِ
يحيى بها الميتُ إنْ دارتْ بحانتها * على أولي الحقِّ في بيضِ الفناجينِ
تسقى لعبدٍ بحفظِ العهدِ متصفٍ * مطهرِ القلبِ مأمونٍ على السبينِ
تسقى لعبدٍ طريقُ الشرعِ مذهبُهُ * منزهِ القصدِ عنْ خبطِ الافانينِ
تسقى لعبدٍ بذكرِ اللهِ ذي ولهٍ * ولمْ يغبْ عنْ رسولِ اللهِ في حينِ
أنا الفتى أحمدُ الصيادُ فزتُ بها * من بعدِ سحقِ عظامي في الهواوينِ
لمَّا شربتُ بفضلِ اللهِ رائقَها * مزجتُ بالشرعِ تمكيني وتلويني
وقامَ داعي المنى للدستِ يخطبني * وهاتفُ الحقِّ عنْ قربٍ يناجيني

وَمَا تَأَخَّرَتْ يَوْمَ الْجَمْعِ عَنْ أَدَبٍ * إِلَّا وَأَضْحَى حَبِيبُ الْقَلْبِ يُدْنِينِي
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالْآنِي فَأَيَّدَنِي * وَأَيْنَ عَزْمِي لَوْلَا أَنْ يُوَالِينِي
سِرْ يَا أَخَا الصِّدْقِ لَا تَكْسَلْ بِخِدْمَتِهِ * وَكُنْ بِهِ مَلِكًا فِي زِيِّ مِسْكِينِ
خَلِّ الْمَعَابِدَ لِلْأَطْرَافِ تَسْكُنُهَا * وَانْهَضْ بِعَزْمِ الَّذِي سَوَّاكَ مِنْ طِينِ

فقمت مجيباً سؤال ذلك المحب الصادق موافقاً لطلبه * مسعفاً لأدبه * وان كنت لست من فرسان هذه الكتيبة * ولا من قافلة هذه المهامه المهيبة * غير اني استفضت من ساحل بحر الروحانية القدسية المحمدية * والتمست افاضة الروح المباركة الصيادية الاحمدية * وتوكلت على الله وكتبت على القصيدة الشريفة المذكورة هذه الكلمات غاضاً النظر عن الايضاحات اللغوية الزائدة * والتعبيرات التى لا تأتي بعظيم من الفائدة * ملتزماً تقرير المعاني الكريمة التي انطوت عليها القصيدة مع ماينطبق على اسلوبها من الحكم النظرية * والرقائق التصوفية * والدقائق الشرعية * والله المسئول ان ينفع بها المحبين * وان يجعلها مقبولة عند جناب نبيه الأمين * موصولة بحبل المدد من اوليائه العارفين * انه وليّ المتقين * وهو يتولى الصالحين * وقد سميت هذا الشرح المختصر الحافل بثمان الدرر ﴿نفحات الامداد . على نونية سيدنا الامام الصياد﴾ وسأختم هذا الشرح المبارك ان شاء الله تعالى بشئ يسير من ترجمة سيدنا الناظم ليكون ذلك في خاتمة النظام * مسك ختام * وهذا اوان الشروع في المقصود * مع الاستفاضة من بحر سيد الوجود * صلى الله عليه وسلم

قال شيخنا وسيدنا القطب الغوث الجواد * السجاد ابن السجاد * كعبة الافراد * ملجأ الأبدال والأوتاد * ابو علي السيد عز الدين احمد الصياد الرفاعي الحسيني الكبير * قدس الله رحب جنابه المنير * مصدراً قصيدته التي مرّ ذكرها * وفاح عطرها

قُمْ يَا نَدِيمِي فَهَذَا الْحُبُّ يَسْقِينِي * خَمْرًا بِهِ طَابَ سُكْرِي قَبْلَ تَكْوِينِي

استنهض همة نديمه اي جليسه ورفيق مشربه الناهج على منهجه والمقتدى بجنابه وهزه الى المعالي وترك الكسل فقال له « قم » وهي كلمة امر واشار له ايضاً انّ حبه صلى الله تعالى عليه وسلم ها هو يسقيه خمراً صحت له الحصة بدليل افاضة الروح المحمدية له وتمسكه هو بالشريعة المطهرة المصطفوية وانه حصلت له منه القسمة الغيبية قبل التكوين في البطون والبروز في مقام الظهور فهو اذاً من اهل العناية الذين سبقت لهم الحسنى وهم عن وهدة القطيعة مبعدون ومن حضرة الوصل مقربون وقوله لنديمه « فهذا الحب يسقيني » هو اعلام له بانه من الملحوظين حقاً بالنظر المحمدي المحظوظين بالمدد الأحمدي وانه من الذين يرعاهم سيدهم بعين العطف والكرم ويسقيهم شراباً طهوراً مزاجه زنجبيل عرفانٍ وحِكَمٍ . ولا بدع فقد قيل للامام شيخ الاسلام السيد سراج الدين الرفاعي الشهير بالمخزومي دفين بغداد رضي الله عنه ان الشيخ ابا العباس قدس سره قال لو غاب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين فقال هذا مقام عامة

الأولياء بل يجب ان يكون مقام كافة المسلمين اذ ينبغي للمؤمن ان لا يلتفت نظره ولا يزيغ بصره عن نبيه صلى الله عليه وسلم لتصحيح القدوة وانما مقام خواص القوم وكبارهم هو ان يكون دائماً في كل طرفة ولحظة منظوراً بكل احواله واقواله وافعاله بنظار الحنان والرأفة والعناية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يغيب بحجاب رد او قطع او اهمال ولا طرفة عين عن ملاحظة مدده ورأفته المحمدية صلى الله عليه وسلم ثم قال يؤيد ذلك قول شيخ الكل في الكل سيدنا الامام الرفاعي الاكبر رضي الله تعالى عنه وعنا به

اغيب عني فيرعاني برأفته ... فاستقيم بطبعي حين يرعاني
أنسى وجودي واطواري لهيبته ... لكنه عن حنان ليس ينساني

قلت والامر كذلك فان الله تعالى قال (النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم) وقد عرّف الله سبحانه المؤمنين الكاملين فقال جلت قدرته (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون) فهم اذا ذكر الله لهم اي اذا ذكرهم المذكر بالله خافوا واحاط بقلوبهم الوجل واذا تليت عليهم آيات الله وذكروا بايام الله زادتهم تلك التلاوة ايماناً وهم في كل شؤونهم لا يعتمدون على حول ولا على قوة ولا على مظهر ولا على شأن من شؤونات الاكوان بل يتوكلون على الله ولا اله الا الله وسيدنا الامام الاكبر الرفاعي رضى الله عنه واعاظم الخواص من ابنائه كشيخ الطائفة سيدنا الامام الصياد رضي الله عنه وكسيدنا السيد سراج الدين فهم من اهل هذا المقام وقد تحقق بهذا المقام بعد جده الامام

الرفاعي سيدنا الناظم اعني الامام الصياد ولذلك صرح بمرتبته واعلن بذكر منزلته فقال «فهذا الحب يسقيني» وقوله «خمراً به طاب سكري قبل تكويني» ذلك الخمر شراب الاختصاص القديم (يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وقد طاب به سكر روحه التي هي مخلوقة كما ورد في النص قبل الجسم بالفي عام وهي من سر الامر فلها سر الاختصاص القديم والوهب الصميم وهذا السكر غيبة روح في عالمها عن غير بارئها في حضرة الغيب فلما اجتمعت على القالب وبرزت في عالم الظهور القت سرها في لطائف القالب اعني الواعية والحافظة والخاطر والخيال والمدبرة والمفكرة ولطيفة القلب والسر والخفي والاخفى فاترع كل من تلك اللطائف بتلك الذكرى قال تعالى (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين) فسرت من الذكرى اسرار النشأة الاولى في اللطائف فتحقق رضي الله عنه في عالم الظهور بما صبغ به هيكل روحه الكريمة (صبغة الله ومن احسن من الله صبغة) فلاحت عليه لوائح السعادة القديمة والسيادة الصميمة فطاب واعرب بما تنزل اليه من حضرة الوهاب بافاضة روح نبيه سيد الانجاب صلى الله عليه وسلم فقال وما تجاوز حد الادب واستطال كمن يأخذه الشطح من حال الى حال وما كان ذلك الا اعراباً عن مجد سيادته وقديم سعادته

ان السعيد لسعيد الازل ... وعكسه الشقي لم يبدل

وهذا سر قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون لا يحزنهم

الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون)

ثم قال الناظم رضي الله عنه

لَقَدْ سَقَانِي فَأَحْيَانِي وَحَيَّرَنِي   وَغِبْتُ مَا بَيْنَ تَلْوِينِي وَتَمْكِينِي

يقول على التحقيق سقاني لا على واهمة الخيال ولا على هزات الآمال من نشأة مضمون قول الله تعالى (افمن كان ميتاً فاحييناه) وقوله تعالى (فلنحيينه حياة طيبة) وفي اشارة الامام الصياد رضى الله عنه لنديمه اذ امره بقوله «قم» في البيت المتقدم سَوْقٌ لهذه الحياة الطيبة من سر قوله تعالى (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) وقوله سبحانه (لينذر من كان حياً) اي بالايمان والعرفان ثم ترقى بعد الاشارة لسوق همة مريده ونديمه فذكر له منة الله تعالى عليه بكون حبيبه ارواحنا له الفداء سقاه واحياه فحياته طيبة وقد شملته الحيرة التي هي حيرة اهل الصديقيــة الكاملة اتباع النبيين والمرسلين عليهم صلوات رب العالمين الذين قال سيدهم (سبحانك ماعرفناك حق معرفتك) ومن معنى كلام شيخ الكل سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه يستفاد ان الحيرة تنقسم الى قسمين حيرة تعظيم وهي التي ذكرناها وحيرة شك والعياذ بالله وهي حيرة الضالين الذين ذلوا وضلوا وما هم من المهتدين ثم ترقى الناظم رضى الله عنه في مقامه من حيرته التعظيمية الى الغيبة عنها وعن مقام تلوينه فيها وعن مقام التمكين في مرتبة المعرفة التي هي من مراتب جده سيدنا ومولانا امير المؤمنين اسد الله الامام علي المرتضى

رضوان الله وسلامه عليه يدلك على ذلك قوله كرم الله وجهه (لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) وقد غلط بعض من ينتمي الى التصوف فظن ان التلوين المطلق ارفع من التمكين والحال ان التلوين الذي هو ارفع من التمكين هو تلوين مرتبة المقام المحمدي وتلك خاصة به عليه الصلاة والسلام ففي الخبر (كل يوم لا ازداد به علماً يقربني الى خالقي فلا بارك الله في صبحة ذلك اليوم) وهذه الزيادة هي التلوين في المقام المحمدي وهي مرتبة تلوين في تمكين فالتلوين المحمدي هو ارفع من التمكين المطلق المفاض الى غيره عليه الصلاة والسلام من الانبياء فمن دونهم والاّ فالتمكين المطلق في القوم ارفع من تلوينهم على كل حال لان تلوين غيره عليه الصلاة والسلام من الصحابة والقرابة والصديقين الذين اجمعت على اجلالهم الامة قد تطرقه الزيادة وقد يطرقه النقصان لعدم العصمة ولذلك اخبر الحبيب الاعظم بعض اصحابه بما معناه: (انهم لو بقوا اذا خرجوا من عنده على ما هم عليه عنده صلوات الله تعالى عليه لصافحتهم الملائكة) وغيبة الناظم عن رؤية تمكينه وتلوينه اندماج في مقام التسليم المحض ويعجبني قول الامــام السيد سراج الدين الرفاعي المخزومي رضي الله عنه في هذا المقام

فررت من الوجود اليك يا من   حماه الرحب حصن المستجير
تساوى بعد هذا الامر عندي   مقامُ الجند او سير الامير

ثم قال الناظم رضي الله تعالى عنه

لَمَّا حَبَانِي بِهَا صَهْبَاءَ صَافِيَةً ✲ عُدِدْتُ فِي الْقَوْمِ مِنْ زُهْرِ السَّلَاطِينِ

يقول نفعنا الله بعلومه لما امتن الحبيب الكريم بهذه المدامة النورانية والخمرة الطاهرة الربانية واحسن بها عليه صافية لم تشب برؤية الخمرة التي هي من اعظم النعم بل علت همته فاشتغل بالمنعم عن النعمة وبالساقي عن الشراب وانطمس عن رؤية كونه بل وعن رؤية الاكوان فلم يشهد الا المنان الحنان فهنالك عُدَّ رضى الله عنه في القوم اهل الله رجال الله من زهر سلاطينهم الذين ضاءت انوارهم وصفت اسرارهم والسلطنة في مقام الولاية هي رتبة الغوثية عندهم وهي القطبية الكبرى والقطب قلب الرحى فشبهوا القطب الغوث به لانها تدور رحى الاكوان عليه باذن الله تعالى وهو ثابت في مقامه تحت مجاري الاقدار وقد وقع اجماع القوم على تسمية اعظمهم منزلة وارفعهم مكانة واكملهم بالسنة تمسكا واثبتهم في مقام الاتباع قدما في كل عصر بالقطب الغوث ولا بدع فان الله يدفع بالصالحين البلاء ويغيث العباد وينزل الغيث ويدر الضرع وينبت الزرع وقد ورد مثل هذا بالاخبار الصريحة والاحاديث الصحيحة وان سرّ التجلي بوهب الولاية الذي يتنزل على قلوب الاولياء بواسطة الجناب الرفيع المحمدي هو الذي يعبرون عنه بالخمر لانه يخامر قلوبهم والبابهم وخفايا سرائر اسرارهم وكل يفاض له العطاء بنسبة قابليته واستعداد قلبه وعقله وحكم مدنيته فليتدبر ٠ ثم قال الناظم رضى الله عنه

اَخَذْتُهَا وَيَدُ الْإِقْبَالِ تَرْفَعُهَا ✲ اِرْثًا صَرِيحًا عَنِ الْغُرِّ الْمَيَامِينِ

يقول اعاد الله علينا من بركاته اخذت سر هذا التجلي المفيض بفضل الله فيض الوهب المتنزل بمنشور الولاية على قلبي ترفعه يد الحظ الازلي وهي يد المدد المحمدي المفيضة فيوض الله في العوالم كلها بشاهد (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) ويفصح الناظم رضى الله عنه عن حكم معدنيته الطاهرة من معنى قول المصطفى صلى الله عليه وسلم (الناس معادن) الحديث وان تلقى هذا السر ارثاً عن آبائه الغر الجباه ائمة اهل البيت الطاهرين الميامين فهم مشائخ الآل وسلاطين اهل المقامات والاحوال ورّاث الطرز المحمدي والحال النبوي العلماء بالله تعالى العاملون بما اتى به جدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينحرف احدهم عن طريقه الكريم مقدار شعرة وفي الخبر الشريف (من عمل بما يعلم ورّثه الله علم مالم يعلم) وهذا هو العلم اللدني الذي اشار اليه الحبيب العظيم ونص عليه الكتاب الكريم وان الناظم رضى الله عنه بعد ان دنا في مقام الارتفاع الذي افاد صحة اتصاله الارثي بآبائه الائمة سادات الامة تدلى منحدراً يرتقي فقال افاض الله علينا من فيوضاته ومدده

حَتَّى جَلَاهَا اَبُو الْعَبَّاسِ اَحْمَدُ فِي ✲ كَأْسٍ تَرَقْرَقَ مِنْ آيَاتِ يَاسِينِ

اشار الناظم عطر الله مرقده الى ان سر التجلي الذى اندمج في السلف من اعاظم آبائه كان في مقام مكنون وكنز مصون حتى جاء سلطان الحقيقة علم الطريقة القطب الاعظم والغوث الاكبر المقدم رفيع الهمم جليل المساعي

ابو العلمين محيي الدين مولانا وسيدنا السيد احمد الرفاعي رضي الله عنه فجلا
ذلك السر ونشر عطره في البر والبحر فهرعت اليه القلوب وتعلقت به تعلق
المحب الواله بالمحبوب وادار كأس هذا الحال المحمدي طافحاً ببراهين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبمعنى آخر ادار ذلك الكأس طافحاً باسرار آيات
سورة يس ولا بدع ففيها الغرائب من عجائب الاسرار النظرية والحكم
الربانية والرقائق العرفانية والبراهين الاستدلالية والمعاني الجليلة التي تؤيد
العبد في امري دينه ودنياه وتدله على الله وتصلح له الشؤون وتطلعه على
خفايا كل سر مكنون وانها لآيات لا تحصى عجائبها ولا تستقصى غرائبها
وسنبحث عنها ونأتي على معاني شيء منها ومن سر كلام الناظم رضي الله عنه
علمنا ان مشرب جده الامام الرفاعي افاض الله تعالى علينا من نفحات بركاته
مستفيض من اسرار آيات سورة يس يؤيد ذلك كلامه الذي سنورد منه
شيئاً يعرف به عند اولي العرفان كماله وان كانت الشمس لا تحتاج للدليل
وطالعة الفجر الج من اشارات الاقاويل وسنجعل كلامه المبارك بحكم التفسير
للآيات الياسينية وجملها الفرقانية وان كنا لابدّ وان نتكلم ان شاء الله عند
كل آية على مأخذ بعض المفسرين من علماء الدين في الآية ونشرح بشرح
غوامضها صدور قوم جذبتهم الى الحق جاذبة العناية والله ولي الهداية قال
الله تعالى في سورة يس (انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب
فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل
شيء احصيناه في امام مبين) كان الامام الرفاعي لايرى الا متابعة القرآن

على ما شرع وفسر حبيب الرحمن صلى الله عليه وسلم وقد كان متحلياً بالخشية
ذليلاً لله منكسراً لعظمته خائفاً منه وقد قال رضي الله عنه « من لم يحاسب
نفسه على كل نفس ويتهمها لم يكتب عندنا في ديوان الرجال » وقد كانت
تطرقه الهيبة فيذوب كما يذوب الرصاص ثم يعيده الله تعالى ويقول لاصحابه
لولا لطف الله ما عدت اليكم وكان يقول الرجل من تظهر آثاره بعده
ويتمثل بقول القائل

ان آثارنا تدل علينا   فانظروا بعدنا الى الآثار

وكان يحث اصحابه على الاعمال الصالحات ويحضهم على ابقاء الآثار
الطيبة المرضية ويقول لهم لا تخجلوني غداً بين يدي العزيز سبحانه وقد
سبقكم اهل الاعمال المرضيات ويقول الطريق الى الله الشرع ويقول كل
طريقة خالفت الشريعة فهي زندقة فمن هذه الايضاحات الشريفة يعلم
تحقق مشرب سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه بحكم هذه الآية الكريمة
فالمفسرون رحمهم الله ونفعنا بهم قالوا بمعنى هذه الآية انما ينفع انذارك من
اتبع القرآن فعمل بما فيه وخاف الله فمن كان كذلك بشره بالجنة وليعلم
الذي يفنى انه سيعود ويُسأل قال تعالى (انا نحن نحيي الموتى) اي عند
البعث ونكتب ماقدموا من الاعمال كلها من خير او شر وآثارهم اي ما سنّوا
من سنة حسنة او سيئة وقد قال حبيب الله صلى الله عليه وسلم « من سن
في الاسلام سنة حسنة يعمل بها من بعده كان له اجرها ومثل اجر من
عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئاً ومن سن في الاسلام سنة سيئة

يعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيئاً » فانظر ايها المنصف تر ان الامام الرفاعي رضي الله عنه سن لاتباعه هجر البدعة وصحة الخشية وطرح الدعوى والتباعد عن الشطح وترك القول بالوحدة وما يجانس نسقها من اقوال اهل الحلول والترهات والتبجح والكلمات الملفقة الكاذبة التي تزلق قائلها الى النار وبئس القرار ولم يبح لاتباعه الخوض بالذات والصفات وذهب رضي الله عنه مذهب السلف الصالح فاخذ بالآيات الكريمة مؤمناً بها تاركاً علم معناها المراد عند الله سبحانه وتعالى وقد وسعه في اعتقاده ما وسع الشارع العظيم صلى الله عليه وسلم مازل عن منهاجه مقدار شعرة ولم يندفع الى مضائق المشددين الذين افرطوا فزلوا ولم يسقط مع المتشدقين الذين فرطوا فضلوا بل اخذ بحكم القرآن فنهج منهج الوسطية اتباعاً لكلام الله جلت قدرته فقد قال سبحانه (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) فكانت مرتبة الشهادة على الناس حاصلة للامة بكونها جعلت في مذاهبها ومشاربها ومعاملاتها مع ربها امة وسطاً وسيكون الرسول النبي الامي العربي الطاهر الزكي سيدنا وسيد الوجود محمد صلى الله تعالى عليه وسلم شهيداً على الامة لكيلا تنحرف عن مقام الوسطية فلا تفرط ولا تفرّط وهو عليه الصلاة والسلام عند الكثير من ائمة التفسير الامام المبين الذي احصى الله تعالى به كل شيء اي استودعه جل جلاله علوم الاولين والآخرين وقال آخرون الامام المبين هو اللوح المحفوظ ولا مباينة بين القولين فان

ما في اللوح المحفوظ لا شك قد طواه الله تعالى في خزانة صدر نبيه الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم وتلك الخزانة المقدسة هي عند الله اشرف واجل من اللوح المحفوظ بلا ريب وقال تعالى في سورة يس على لسان عبده حبيب النجار (وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون ۰ أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون ۰ اني اذاً لفي ضلال مبين ۰ اني آمنت بربكم فاسمعون) هذا الامام الرفاعي رضي الله عنه هدم صوامع الاغيار تحققا بمشرب جده النبي المختار فلم يرَ فعلاً مؤثراً في حال من الاحوال لاحد من المخلوقين وانما تحقق اعتقاداً ان التصرف المحض لله تعالى هو الذي يضر وينفع ويصل ويقطع ويفرق ويجمع ويعطي ويمنع ويضع ويرفع واليه المصير غير انه سبحانه تجلى على الآثار فاحسن كل شيء خلقه ثم هدى فجعل الظل والحرور ونشر الظلام والنور وابرز في كل مصنوع سراً هو اعطاه له وجعله آلة للفعل فالنار لم تكن محرقة بذاتها لولا ان استودعها سر الاحراق والسيف لم يكن قاطعاً بذاته لولا ان استودعه سر القطع وهلم جرّا هذا مشرب الامام الرفاعي بل هو مذهب اهل السنة والجماعة المنشق نوره عن هدى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خلافاً لمن يرى الفعل والتصرف للمخلوقين فان ذلك من الضلال المبين ولا عدوان الا على الظالمين وتدبر قول الامام الرفاعي رضي الله عنه في حكمه بما نصه قال بعض الاعاجم من صوفية خراسان ان روحانية ابن شهريار الصوفي الكبير قدس سره تتصرف في ترتيب جموع الصوفية في العرب والعجم الى

ما شاء الله « ذلك لم يكن » الله الوهاب الفعال النيابة المحمدية عند اهل القلوب ثابتة تدور بنوبة اهل الوقت على مراتبهم وتصرف الروح لا يصلح لمخلوق انما الكرم الآلهي يشمل ارواح بعض اوليائه بل كلهم فيصلح شأن من يتوسل بهم الى الله تعالى قال تعالى (نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة) هذا الحد اياكم وافراط الاعاجم فان في اعمال بعضهم الاطراء الذي نص عليه الحبيب عليه صلوات الله وسلامه واياك ورؤية الفعل في العبد حياً كان او ميتاً فان الخلق كلهم لا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً نعم خذ نعبة احباب الله وسيلة الى الله فان محبة الله تعالى لعباده سر من اسرار الالوهية يعود صفة للحق ونعم الوسيلة الى الله تعالى سر الوهيته وصفة ربوبيته الولي من تمسك كل التمسك باذيال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ورضى بالله ولياً انتهى كلامه الشريف بنصه العالي فتدبره ايها المحب كل التدبر وتعرف انطباع مشربه العالي في المشرب الاطهر المحمدي وبالله التوفيق وقال الله تعالى في سورة يس المباركة (انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء واليه ترجعون) الامام الرفاعي رضي الله عنه نفض يده من الاسباب وتوكل على رب الارباب وامر اتباعه بصدق التسليم المحض لله ولم يعول الا على الله وامر بمواصلة الاسباب شرعاً لكيلا يعطل المرء احكام المشيئة واسرار الارادة المُنْبَثَةِ في عالم الامكان لكن بشرط عدم اتهام الله في الاسباب وربط القلب به سبحانه ربط متشق به غير ملتفتٍ الى الاغيار في المقاصد والآداب والذي

عليه المفسرون « انما » لما كانت اداة حصر وتحقيق فهي تفيد ان الامر الالهي الذي تتعلق به الارادة باعدام او ايجاد او اخفاء او اظهار وغير ذلك ماهو الاّ على التحقيق منحصراً بان يقول لما اراده الله سبحانه كن فيكون تنزه وتقدس وتعالى عن النظير والمثيل والشريك والعديل اذ غيره مملوك له مقدور وهو بيده ملكوت كل شيء واليه مصير الحوادث كلها الا الى الله تصير الأمور وهذهِ الآيات الكريمة ترد زعم اهل الدعوى الذين يزعمون القدرة في الاكوان وتأخذهم سكرة الدعوى فيتوهم احدهم التصرف في عوالم الإمكان والحال ان المخلوقين كلهم في بجبوحة العجز الاّ من اعطاه الله تعالى القدرة وكلهم جائع الا من أشبعه وكلهم عار الامن كساه وكلهم جاهل الا من علمه وقد تحقق سيدنا الامام الرفاعي بهذا الذوق الوجداني الشريف فصار له مقاماً واليه ساق اتباعه وعليه دل اشياعه وقد تحلى بحلية الذل لله والانكسار* وخشع للمؤثر منجمعا عن الآثار* غير مهمل لما في الابراز من الحكم والاسرار* عرف الآثار بالمؤثر لا المؤثر بالآثار* وقد اشار الى منزلته في هذه الأذواق العالية سبطه وابن ابن اخته مولانا الأمام الصياد رضي الله عنه في بيته الذي نحن بصدد الكلام عليه اعنى قوله

حَتَّى جَلاَهَا اَبُو اْلعَبَّاسِ اَحْمَدُ فِي * كَأْسٍ تَرَقْرَقَ مِنْ آيَاتِ يَاسِينِ

وبعد ان نوه على خمرة هذا الكاس الطاهر وذكر مجمل اسرارها البواهر واعز مكانها واعظم شانها قال اعنى الامام الصياد رضي الله عنه

لها رِجَالٌ بِصِدْقِ الْحَالِ تَشْرَبُهَا * يَوْمَ الْحُرُوبِ تَرَاهُمْ كَالشَّوَاهِينِ

يقول لا يمكن لكائن من كان ان يشرب من هذه الخمرة الطاهرة بل هي عزيزة لها رجال صدقوا ما عاهدوا الله فهم يشربونها بصدق الحال المنزه بالتحلي المحمدي عن الخبط والترفع الى ما لم يكن من الحق عملا بقوله صلى الله عليه وسلم «دع ما يريبك لما لا يريبك» واولئك الرجال هم الصادقون الذين امرنا ان نكون معهم بنص قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) فان صدق الحال ملزم بالتمسك بالعهد قال تعالى (واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)ومثل اولئك الرجال تراهم يوم الحروب مع النفس او مع الشيطان واوليائه كالشواهين جمع شاهين وهو البازي واظن ان كلمة شاهين كلمة معربة وفي الشطر اشارة لشدة بأسهم وسرعتهم فيما يرضى الله ولقد جاء في الكلام القديم على لسان الكليم (وعجلت اليك ربي لترضى) ويعجبني قول شيخنا القطب الجليل غوث الرجال السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضي الله عنه في مثل هذا المقام

قومٌ عُرِفتُ بهم فعزّت رتبتي * وبجاههم يستشفع المستشفع
كم ابطأوا للفانيات اذا سَروا * واذا ارادوا باقياً كم اسرعوا
هم علمونا السير اثر المصطفى * فحبالنا مأمونةٌ لا تُقطعُ

والقوم الذين وصفهم سيدنا الناظم عطر الله مرقده بكونهم يوم الحروب كالشواهين جمعوا المعالي شؤنهم بين الشجاعة وخوف الله فهم فيما

يؤل لله اشجع الناس وعما لا يرضي الله ابعد الناس ولله در سيدنا ومولانا السيد سراج الدين الصيادي الرفاعي المخزومي رضي الله عنه فانه قال

ليس الشجاع الذي يحمي فريسته * يوم القتال ونار الحرب تشتعل
لكنّ من كف طرفا اوثنى قدما * عن الحرام فذاك الفارس البطل

وحالة كون الأمر كذلك فالشجاع الالهي المتحلي بالحال المحمدي من يجمع بين الشجاعة في الله والخوف من الله كما قال الصاحب ابن عباد رحمه الله تعالى في سيدنا ومولانا وقرة عيوننا الامير الكرار علي المرتضى رضي الله عنه مادحاً* وعلى غصن الحكمة صادحاً

اذا ما ارمدت عيني شفائي * تراب مس نعلَ ابي تراب
هو البكاء في المحراب ليلا * هو الضحاك في طعن الحراب

وفي الخبر ليس الرجلُ رجلَ الدنيا او رجلَ الآخرة بل الرجل رجلهما ثم قال الناظم رضي الله عنه

جَدِّي الرِّفَاعِيُّ لِلسَّادَاتِ رَوَّقَهَا * تَجَلَّى مَعْرِفَةً مِنْ غَيْرِ تَنْوِينِ

انتسب الناظم فقال جدي الرفاعي وهو سلطان الأولياء مقبل يد جده سيد الأنبياء عليه صلوات خالق الاشياء الغوث الاكبر والقمر الأنور مولانا ومفزعنا ابو العلمين محيي الملة والدين السيد احمد الكبير الرفاعي الحسيني الحسني الأنصاري رضى الله عنه وهو ابن السيد السلطان علي المعروف بالمكي دفين بغداد ابن السيد يحيى نقيب البصرة ودفينها ابن السيد ثابت

ابن السيد الحازم على ابي الفوارس الاشبيلي ابن السيد احمد ابن السيد رفاعة الحسن المكى ابن السيد المهدي ابن السيد محمد ابي القاسم ابن السيد حسن ابن السيد الحسين عبد الرحمن ابن السيد احمد الاكبر ابن السيد موسى الثاني ابن السيد الأمير ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الأمام زين العابدين على ابن الامام الهمام كوكب الاسلام سبط النبي عليه الصلاة والسلام تاج الأوليا، ابى عبد الله سيدنا الحسين شهيد كربلاء ابن اسد الله وسيد اولياء الله وابن عم رسول الله الليث الغالب مظهر العجائب مفرق الكتائب سيدنا ومولانا امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه وام سيدنا الامام الحسين سيدتنا وقرة عيوننا البضعة الطاهرة ذات النور فاطمة الزهراء النبوية رضوان الله وسلامه عليها وهي بنت روح الوجود معدن الكرم والفضل والجود شفيع اليوم الموعود صاحب المواثيق والعهود رب المقام المحمود سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ولد سيدنا الامام الرفاعي رضى الله عنه في قرية حسن بواسط العراق سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وتوفي ابوه ببغداد وهو دون السبع وتولى تربيته وقام بأمره خاله القطب الكبير شيخ القوم الباز الاشهب السيد الشيخ منصور البطائحي الرباني الأنصاري لاب الحسيني لام رضى الله عنه ثم لما ترعرع اخذه الى الامام الجليل الشيخ على ابي الفضل القاري الواسطي القرشي وكان ذلك بأمرٍ من النبي صلى الله عليه وسلم فتلقى عنه العلوم الشرعية ولبس منه

الخرقة العلوية ولا يزال يعظم امره* ويظهر متدرجاً في سموات المفاخر بدره* حتي قدمه مشايخه عليهم وانتهت اليه رياسة الطريق في عصره وكملت به نوبة المجد المحمدي في دهره وفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة حج وزار قبر جده سيد المرسلين* وعلة خلق العالمين* صلى الله عليه وسلم فلما تشرف بالحضور* ولمع له من حجرة جده الأعظم ساطع النور حنّ وبكى* وانّ واشتكى* وقال السلام عليك ياجدي فقال له عليه افضل الصلاة والسلام وعليك السلام ياولدي سمع ذلك كل من كان في الحرم الشريف فسقط السيد احمد الى الارض جاثياً على ركبتيه متواجداً هائماً ثم قام وانشد مخاطباً الجناب الحبيب* عليه افضل صلوات القريب المجيب

في حالة البعد روحي كنت ارسلها ... تقبل الارض عني فهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت ... فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فانشق جدار الحجرة المحمدية ومدّ له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة النورانية الزكية فقبلها بين الألوف والناس ينظرون وقد سارت بذكر هذه المنقبة العظيمة الركبان* وتواتر خبرها في عالم الامكان* وبهذا المقام يقول قائلهم

هذه رتبة رقاها الرفاعي ... لم ينلها من الرجال سواه
هو في الاولياء قطب رحاهم ... قدس الله سره وحباه

وقد اعز الله امره واطلع في برج السعادة فجره وانتشرت طريقته في العالم وتعلق باذياله الكريمة من رجال عصره كل عرنين معظم وعارف مقدم

وسيد مكرم · ولم يزل ينمو امره · ويجلى سره · ويبث في البرايا عطره · حتى توفاه الله تعالى راضياً مرضياً · مباركا مهديا · ناصرًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مجددًا لهذه الأمة امر دينها على النهج المحمدي الاقوم وكانت وفاته بام عبيده عام ثمان وسبعين وخمسمائة ومرقده الطاهر تطفح فيه الأنوار ويقصد من الأقطار وسيدنا السيد عز الدين احمد الصياد رضى الله عنه والدته ذات المفاخر ام الأقطاب السيدة زينب هي بنت سيدنا الإمام السيد احمد الرفاعي رضى الله عنهم اجمعين

وسيأتي في خاتمة هذا الشرح المبارك تفصيلات جيدة في هذا الاسلوب ان شاء الله تعالى قال الناظم رضى الله تعالى عنه « جدي الرفاعي » كما تقدم في البيت الذي نحن بصدد شرحه « للسادات روقها » هذب خمرة العرفان التي هي سرّ التجلي المتدلي الى قلبه المبارك للسادات فافرغه رائقاً عذباً سهلاً لهم على حكم المحجة البيضاء · والطريقة السمحاء · لا اغلا في عباراته · ولا ايهام في اشاراته · نهج في ايضاحه منهج الشرع الشريف كما كان عليه الآل والأصحاب رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم فلم يمتحن عقول اصحابه واتباعه بكلمات مغلقات واساليب ملفقات تدفعهم للقول بالوحدة المطلقة *او تزلقهم الى مسالك اهل الشطح والحلول والزندقة *فكانت تلك الخمرة المباركة هي الخمرة المعرّفة المعهودة التي ابقاها النبي صلى الله عليه وسلم بركة للامة في حانات القلوب المضيئة قبل في خبايا زوايا الغيوب غير منكرة بتنوين التنكير او ممزوجة بما يقيم على من يدعي

شربها النكير بل هي بيضاء نقية كما ورد في الخبر (تركتكم على محجة بيضاء) الحديث فها هي « تجلى » كما قال سيدنا الناظم « معرفة من غير تنوين » مروقة للسادات جمع سيد فلم تكن مباحة للأسافل الذين يخلطون الحق بالباطل بل هي حصة اهل السيادة الذين نشر الله على رؤسهم في عالم غيبه ألوية السعادة ثم قال سيدنا الناظم رضى الله عنه

بِعَزْمِهِ وَبِصِدْقِ ٱلنَّائِبِينَ لَهُ * دَارَتْ مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ٱلْأَقْصَى إِلَى ٱلصِّينِ

يقول بعزم الامام الرفاعي وببركة تمكينه وثبات قدمه وبصدق اتباعه الذين نابوا عنه واخذوا هذا السر العظيم منهُ وتخرجوا على يديه وتحققوا برتبة الانتساب اليه من الأولياء العارفين والاجلاء الواصلين والعلماء العاملين والمشايخ المرشدين الصالحين الذين صح لهم الفتح *ولم يدنسهم غبار الدعوى والشطح *دارت خمرة الحال المحمدي من المغرب الى المشرق فان نوابه التزموا طريقه القويم *ومشوا على الصراط المستقيم *وهم امم لا يحصى عددهم قال الامام ابن الجوزي والعيني والذهبي وابن حماد وابن الأثير وابن الأنجب وجلة غيرهم من المؤرخين في تواريخهم واطبق على ذلك الصوفية في طبقاتهم ان اتباعه لا يحصى عددهم ونصوا على ان خلفاءه وخلفاءهم بلغوا الى مائة وثمانين الفاً حال حياته وقالوا لم يكن في بلاد المسلمين المعمورة من مكان يخلو من اتباعه ورجاله وزواياه وكمل الاعيان من رجال الخرقة ينتمون اليه ويعولون في طريق الله تعالى عليه وناهيك منهم بالقطب الكبير

الشيخ عقيل المنبجي العمري والقطب الباز الأشهب الشيخ ارسلان الدمشقي والقطب الأعظم الشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ الجليل القطب مزيد الشيباني العسقلاني والد الشيخ الكبير سعد الدين الجباوي والقطب الرباني الشيخ حسن الراعي القطناني والقطب الكامل الشيخ ابي الحسن الشاذلي والقطب العلوي السيد احمد البدوي والقطب الحقيقي السيد ابراهيم الدسوقي فهؤلاء كلهم بل وجلة اعيان الخرقة بالذات و بالواسطة هم من اتباعه ومن خاصة اشياعه وقد طفح بيته الكريم بالأولياء الانجاب والسادة الأقطاب وهو قال وعدني ربي ان ينبت في بيتي الأولياء كما ينبت الربيع البقل ولم تقم نوبة في الاسلام لولي من الأولياء بعد رجال القرون الثلاثة كالنوبة التي قامت له قال الامام ابن الجوزي كنت عنده يوم المحيا وعنده اكثر من مائة الف انسان وقد قام بكفاية الجميع فقلت له هذا جمع عظيم فقال حشرت محشر هامان ان خطر لي اني شيخ احد منهم الا ان يتغمدني الله برحمته فاكون كاحادهم واتفق اهل الأخبار على ان رواقه المبارك يحتوي على عشرين الفاً من الفقراء والمريدين ويمدّ لهم السماط صباحاً ومساءً وقد قال الوتري والفاروثي والتقي الواسطي وخلائق ان هذا الامام هو صاحب السماط الاحمدي الذي لا يطوى باذن الله تعالى الى يوم الدين ثم ان الناظم رضي الله عنه لما اعظم شأن خمرة التجلي المتدلي بيد الوهب عن يد رسول الرب صلى الله عليه وسلم الى قاب جده سيدنا الغوث الأكبر الرفاعي اراد ان يبين عزة شأن هذه الخمرة الطيبة الطاهرة وان يصف جلالتها الباطنة

والظاهرة فقال

الجَدُّ اَوصى بِهاَ لاَ يَسْمَحُونَ بِهاَ * اِلاَّ لِصَدْرٍ عَظِيمٍ فِي الدَّوَاوِينِ

يقول ان جده الامام الرفاعي رضي الله عنهما اوصى اتباعه ونوابه ووُرّاثه من اهله ومريديه نفعنا الله بهم بهذه الخمرة اي باعزازها وصيانة شرفها وحفظ سرّها فلذلك هم لا يسمحون بها للاطراف ولا يذيقونها للاجلاف · ولا يمنحون كأسها الرائق الكريم الا لصدر عظيم ذي رياسة في دواوين الحقيقة عارف بالله عالم بشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل بهما متمكن في طوره قاهر لنفسه يدور مع الحق حيث دار عملا بقول النبي الصادق المختار · عليه صلوات الملك الجبار · (لا يكون احدكم مؤمنا حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) ومن كلام الامام الحسن البصري رضي الله عنه العالم العامل يدعى في ملكوت الله تعالى عظيما والمقصود هنا من العلم انما هو علم الدين بأن يعلم العبد ما له في دينه وما عليه ليعمل بما امره به نبيه عليه الصلاة والسلام فيكون متبعاً لا مبتدعا وحينئذ يصح ان يكون صاحبا لمن هو فوقه وقدوة لمن هو دونه وتدبر قول سيدنا الامام الرفاعي رضي الله تعالى عنه

أصحب من الاخوان من قلبه * اصفى من الياقوت والجوهر
ومن اذا سرك اودعته * لم يظهر السرّ الى المحشر
ومن اذا اذنبت ذنباً اتى * معتذرا عنك كمستغفر
ومن اذا ماغبت عن عينه * اقلقه الشوق فلم يصبر

ثم اكد سيدنا الامام الناظم رضي الله عنه قوله فقال

اَلْجَدُّ اَوْصَى بِهَا تُحْمَى بِخَاتِمِهَا * مَحْجُوبَةً عَنْ قَلِيلِ الْعَقْلِ وَالدِّينِ

يقول اوصى بها الجد الامجد ان تحمى وتصان مختومة لايفض كأسها ولا يهتك حجابها لانها عزيزة غالية النوع شريفة المكانة رفيعة المنزلة محجوبة في حانة مجدها عن قليل العقل قليل الدين لان العقل هو ما يعقل النفس فيوقفها عند حدها في اخذها وردها كذا عرفه الامام الرفاعي رضى الله عنه وقال رضوان الله عليه الدنيا والآخرة بين كلمتين عقل ودين وقد مدح رجل امام رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل اصحابه عن عقله فقيل له ليس بشيء فقال عليه الصلاة والسلام وصاحبكم ليس على شيء وقال صلوات الله وتسليماته عليه ان الناس ليعملون الخيرات وانهم ليجزون يوم القيامة على قدر عقولهم واما الدين فمن زل عنه ضل وكلما كمل للمرء دينه علا قدره . وعظم في ملكوت الله شأنه وامره . ومن يكن منحطا عن رتبة الدين . فهو في الاسفلين . وان علا بين البشر . وطمح بعزم الاستدراج القمر . وان اسرار الله هي من علمه الاعظم وعلمه لايهدى لعاص في دينه ولا لذي حطة في عقله فان العقل عصام الدين تنشأ عنه العبرة . وتبدو منه الفكرة . وكذلك قال رب الارباب (ان في ذلك لآيات لاولي الالباب) ثم ان الناظم رضى الله عنه وصف تلك الخمرة المباركة فقال

يَحْيَا بِهَا الْمَيْتُ إِنْ دَارَتْ بِحَانَتِهَا * عَلَى أُولِي الْحَقِّ فِي بِيضِ الْفَنَاجِينِ

يقول ان الميت بعلة القطيعة اذا رافق اهل الحق الذين دارت عليهم تلك

الخمرة يحيا باذن الله من مضمون قوله تعالى (افمن كان ميتاً فاحييناه) وقد جعل اواني تلك الخمرة بيض الفناجين اي بيض القلوب الطاهرة التي لم تدنس بشيء من سواد الظلمات القاطعات التي تطرأ على قلوب اهل الغفلة فان الغفلة سواد القلب تجعله مظلما يحدث بالاباطيل ويروح مع الاكاذيب وان حجب القلوب لا تشق الا بسهام القلوب وقد اعظم الناظم رضى الله تعالى عنه شأنها عن ان تدار بحانتها على غير اولى الحق وذلك اعني الحق هو الشرع الذي اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وماذا بعد الحق الا الضلال) ومن هذا الايضاح البين علمنا ان خمرة سر التجلي التي تحيى قلوب اهل الحق اذ تفاض اليهم من قلوب جعلها الله معادن الصدق ومخازن الايمان والعرفان هي لا تدار الا على المتشرعين الذين يعملون بما جاء به سيد الانام عليه من الله افضل الصلاة والسلام وفي هذا المعنى الزام بمصاحبة اهل الحق والانتظام بسلكهم والالتحاق بحزبهم (اولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم الغالبون . هم المفلحون الذين لاخوف عليهم ولا هم يحزنون) وفي المعنى دليل على ان صحبة اهل الحق تكون سبباً لحياة القلب ومفهومه المخالف يقضى بان صحبة اهل الباطل تميت القلب والعياذ بالله تعالى

ثم ان الناظم رضى الله عنه بعد ان ذكر من منيع شأن هذه الخمرة ماذكر اراد اعلام الطالبين واخبار اهل الحق من الراغبين باوصاف القوم الذين تسقى لهم هذه الخمرة المنيفة وتفض بيد الاحسان لهم كؤوسها الشريفة فقال

تُسْقَى لِعَبْدٍ بِحِفْظِ الْعَهْدِ مُتَّصِفٍ * مُطَهَّرِ الْقَلْبِ مَأْمُونٍ عَلَى السِّرِّ

هذه الخمرة تسقى لمتحقق بالعبودية راض من كل ذراته بحكم المنزلة العالية المحمدية فان النبي صلى الله عليه وسلم اختار ان يكون نبياً عبداً وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس حيث يجلس العبد وقال تعالى بشأنه (سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى) والعبدية في مراتب الكمالات ومنازل القرب اشرف المراتب واجل المنازل ولذلك كانت صفة النبي صلى الله عليه وسلم وهنا نكتة وتلك ان العبودية هي صفة العباد والعبدية صفة العبيد والعبودية دون العبدية فقد يصر امرؤ عابد ولكن لم يتحقق كل التحقق بالعبدية فتخطفه نفسه وتزلق به نخوته فيقول ويصول ولعله يشطح ويتبجح واما العبد فاذا زها ايضاً لا يخرج عن حيطة التحدث بالنعمة ومرتبة العبودية هي سلم لمنزلة العبدية التي هي اعلى المنازل واشمخ المراتب ومن صفات العبد الكامل حفظ العهد قال تعالى (ان العهد كان مسؤلاً) وفي الخبر (لا دين لمن لا عهد له) وفى كلام سيدنا علي امير المؤمنين كرم الله وجهه حفظ العهد من الايمان فان ناقض العهد بعد ميثاقه لا ريب هو من المفسدين الذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل وان الرجل متى نقض العهد فهو متودع منه لا خير فيه ولا ذمة له عند الله تعالى قال تعالى (اوفوا بعهدي اوف بعهدكم) ولا يفيد حفظ العهد الا ان يكون مصحوباً بطهارة القلب من دنس الشكوك فلا يكون رقيباً على صاحبه مفتشاً على شؤوناته ينقدح فيه الشك بالقليل والكثير والفتيل والقطمير يرى

غيره وينسى نفسه يكون كالنملة لاجل غيره له ست عيون ولاجل نفسه اعمى ولا يلوث قلبه بحب الدنيا والانهماك على جمع حطامها ولا يكون بطالاً فان البطالة تجعل القلب في حجاب عن الترقى في معاريج العنايات الربانية كيف لا وقد جاء في الخبر الشريف (ان الله يكره العبد البطال) ولا يوهن همة القلب بسوء الظن بالناس ولا بكثرة الاخذ والرد بامر الذات والصفات ولا يطوي في القلب بغضاً لاحد لم يكن لله ولا حباً لاحد لم يكن لله كما في الحديث الاصدق «وهل الدين الا الحب في الله والبغض في الله» ولا يجعل همة القلب مثقلة بهم الرزق فهو في كفالة الخالق سبحانه وليكن قلب العبد حالة كونه طاهراً مأموناً على السر الذي يفشى اليه من امه وابيه واهله وذويه واصدقائه واخوانه وانصاره في الله واعوانه فان صدور الاحرار قبور الاسرار وكون مقر القلب الصدر فكأن القلب قبر السر لا يخرج منه ولا ينقل عنه وعلى الخصوص فاسرار الله تعالى التى تودع في قلوب العارفين حقها ان لا تهتك للحدادين ولله در قائلهم

من باح بالسر كان القتل سيمته * بين الرجال ولم يؤخذ له ثار

وفي الآثار الكريمة (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) وما اشرف قول سيدنا الامام الرفاعى رضى الله عنه

ومستخبري عن سر ليلى تركته * بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون خبرنا فانت امينها * وما انا ان خبرتهم بامين

ثم قال الناظم رضي الله تعالى عنه

تُسْقَى لِعَبْدٍ طَرِيقُ الشَّرْعِ مَذْهَبُهُ * مُنَزَّهِ الْقَصْدِ عَنْ خَبْطِ الْأَفَانِينِ

يقول وهي اعني الخمرة تسقى ايضا لعبد متحقق في منزلة عبديته بطريق الشرع الشريف فالشرع المحمدي مذهبه ومشربه لا يغير ولا يبدل قال الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال سبحانه (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم) وقال عليه الصلاة والسلام (انكم لن تضلوا ما ان تمسكتم بسنتي) وان التمسك بالسنة السنية يقضي باهانة اصحاب البدع السيئة الرديئة قال عليه الصلاة والسلام (من اهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الاكبر)وهنا يلزم التبصر ليفرق المرء بين البدعة الحسنة والبدعة السيئة فالبدعة السيئة ما كان من قول وفعل حرمه الله في كتابه او نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم اوكان مخالفاً لاجماع الامة الذي امرنا بموافقته يدلك على ذلك قول الله تعالى (ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (عليكم بالسواد الاعظم فان من شذ شذ في النار) كيف لا ورجال الاجماع قادة الامة وعلماؤها وساداتها واصفياؤها سرج الهدى ومصابيح الدجى وحملة شريعة النبي المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ولهذا الفرق البين ورد في الخبر الشريف (من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة) وقد اوضح الناظم رضي الله عنه ان العبد الذي يسقى خمرة سر التجلي التي تحيي القلب وتكرم العبد بقرب الرب يجب ان يكون طريقه الشرع

وان يكون بالتزام هذا المذهب الكريم منزه القصد عن خبط الافانين جمع فن اي لا يكون حاطب ليل في تشرعه يخبط باحكام الشرع الاطهر خبط عشواء ويتبع المفسدين او يقف مع رأيه غرورا وترفعا وتعززا بما في نفسه من علم او عمل او حسب او نسب او مال او حال فان كل ذلك من القواطع عن الله حمانا الله وعدم الخبط يكون من الرفق والنبي صلى الله عليه وسلم قال (ان الله يحب الرفق في الامر كله) فاذا حرم المرء الرفق شب كالوحش على الفريسة نخبط موافقة لرأيه في الاحكام وقعد على بساط الزعم وقام وما نتيجة سعيه الا الاوهام واذا أخذ بالرفق وصل الى الحق وطابت له النتائج . وقضيت له باذن الله المآرب والحوائج . والا فاذا خبط وتفنن فاتبع كل ناعق . وصدق الكاذب وكذب الصادق . واجتذب الدين بيد رأيه ليجعله تبعا لهواه . فقد خالف امر الله . وصادم ماجاء به سيد خلق الله عليه افضل صلوات الله وتسليمات الله ولم تحصل له من خمرة القرب نهلة ولم تبرأ له علة وحينئذ فالذي يسقى من تلك الخمرة هو المتشرع المنزه في قصده عن الخبط في الاحكام الواقف في جميع اطواره مع امر نبيه عليه الصلاة والسلام على طريقة الاجماع المنزهة عن وصمة الابتداع ثم قال سيدنا الناظم رضى الله تعالى عنه

تُسْقَى لِعَبْدٍ بِذِكْرِ اللهِ ذِي وَلَهٍ * وَلَمْ يَغِبْ عَنْ رَسُولِ اللهِ فِي حِينِ

يقول وتسقى ايضا هذه الخمرة لعبد اطمأن قلبه بذكر الله فآمن موقنا بالله وتوكل في كل احواله على الله ذكر الله والها مستغرق القلب بمحبة الله تعالى لا كمن يذكر بلسانه . وينام حالة ذكره جنانه ويقف في حضرة الذكر لم يغب عن

مشاهدة نور رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقت من الاوقات وهنالك تحفه طوارق الهيبة من جانب الجناب المحمدي فلا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا موافقا لامره الكريم عليه صلوات البر الرحيم وهنالك يرتقي من هذه المرتبة التي عليها عوام الاولياء رضي الله عنهم الى مرتبة خواصهم فيصير ملحوظا في حركاته وسكناته بعين عناية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون كما قيل

علي رقيب منك يرعى خواطري * وآخر يرعى ظاهري ولساني

ومن سر هذه الملاحظة يرى الامة على اختلاف طبقاتها بعين الرأفة والحب والرعاية اجلالا لسيدها صلى الله عليه وسلم كما قال الامام الاجل الشافعي رضي الله عنه

من نال مني او علقت بذمته * ابرأته لله راجي منته
كي لا اعوق مؤمنا يوم الجزا * ولا اسوء محمدا في امته

ثم ترفع الناظم رضي الله عنه وجعل عودا على بدء وعرف نديمه ومريده الذي منحه بالخطاب في هذه القصيدة المحتوية من اسرار الحقيقة على الالباب واوضح له انه ممن شرب هذه الخمرة الزكية وتمتع بكؤسها العطرية القدسية فقال

أَنَا الْفَتَى أَحْمَدُ الصَّيَّادُ فُزْتُ بِهَا * مِنْ بَعْدِ سَحْقِ عِظَامِي فِي الْهَوَاوِين

نعت الناظم رضي الله تعالى عنه نفسه الزكية بالفتوة وهي عند القوم رضي الله عنهم الصفح عن عثرات الاخوان وذكر اسمه الكريم ولقبه المبارك الذي اشتهر به وذلك ان احد ملوك التتار في العراق جاء الى الامام الصياد قبل

اشتهاره بهذا اللقب فرآه منقطعا في رواقه المبارك وقد كثر قصاده وزواره والمنهل العذب كثير الزحام فاراد ان يجعل للرواق المبارك احباسا من قبله واوقافا فقال للامام السيد عز الدين احمد المشار اليه رضوان الله تعالى عليه ياسيدي انت لاصنعة لك ولا كسب مع كثرة هذه الوراد والقصاد فاريد ان اجعل لرواقك المبارك احباسا واوقافا تستعين بها على مصالح الفقراء فظهر الجلال في وجه السيد رضي الله عنه وقبض بيديه في الهواء والقى اسدين مربوطين بحبل من ليف النخل وقال للملك صنعتي هذه وعزة ربي صدتهما من فلاة بربع الخراب فهابه الملك واعظم شأنه وقال له انعم بك من صياد فاشتهر بهذا اللقب الشريف والقوم يقولون هو صياد القلوب وبعضهم يقول صياد المناقب والمفاخر ولله در الشيخ الجليل ابي الحسن علي الشعراني العلوي قدس سره فانه يقول بمدح الامام الصياد رضي الله عنه

انت عز الدين الامام المفدى * احمد القوم كعبة القصاد
لك مجد سامي السماء علوا * ويد لاتزال فوق الايادي
صدت كل المناقب البيض حقا * ولهذا دعيت بالصياد

قلت والشطر الاخير من البيت الوسط استودعه الناظم ابياته وهو للقطب الكبير عبد الحافظ ابي الفتح بن سرور الحسيني المقدسي خليفة الامام الرفاعي رضي الله عنه فانه قال يمدح شيخه سلطان الاولياء مولانا الغوث الرفاعي ويشير لمد يد الحضرة المحمدية النبوية لجنابه عطر الله مرقده

يا امام الاقطاب يا ابن الرفاعي * يا سليل الطهر الكريم الهادي

لك كعب علا الاكابر قدرا   ويد لاتزال فوق الايادي

ثم ان الناظم بعد ان نعت نفسه الطاهرة بالفتوة وذكر اسمه ولقبه عرف مريده انه لم يفز بشرب تلك الخمرة الطاهرة الا بعد سحق عظامه في الهواوين وهو جمع هون بفتح الهاء والواو جرن من النحاس يسحق به ما يقتضى سحقه يريد انه افنى كله في الله ومحق نفسه لمرضاة الله و بعدها فاز بشرب الخمرة المقدسة والا فما المجد تم ثم ان الناظم رضي الله تعالى عنه اراد بيان فضل شرب تلك الخمرة وبركة سرها فقال

لمَّا شَرِبْتُ بفَضْلِ اللهِ رَائِقَهَا * مَزَجْتُ بِالشَّرْعِ تَمْكِينِي وَتَلْوِينِي

يقول لما تفضل علي الله تعالى من غير حول مني ولا قوة فشربت بمحض فضله سبحانه رائق تلك الخمرة الطاهرة وفقت للحكمة فمزجت بالشرع تمكيني في المقام وتلويني في الاحوال فمقامي محفوظ بنظام الشرع من السقوط وتلويني محفوظ من القنوط لان الشرع عصام كافل لوقاية المقامات والاحوال باذن الله تعالى وقد قال سيدنا الامام الرفاعي رضي الله عنه وعنا به الفقير على الطريق مادام على السنة فمتى زل عن السنة زل عن الطريق وسلك سبيل الهالكين وقال سيدنا الامام الصياد رضي الله عنه العارف يحفظ حاله ومقامه بالسنة السنية المحمدية فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها والله تعالى قال (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) ومتى احب الله العبد صانه فيما يؤل اليه ولا تضره منازعة الدنيا له فان الباقي يريد لمن يحب الباقي وقد ورد في الخبر عن النبي الصادق الابر صلى الله تعالى عليه وسلم (ان الله يعطي

الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ولا يعطي الآخرة الا لمن يحب)وقال شيخنا العارف الكبير السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي رضي الله عنه العبد المحب دنياه معوجة وآخرته مستقيمة وتلا قوله تعالى (ومن نعمره ننكسه في الخلق)وقال نفعنا الله تعالى بعلومه العارف المتمكن الكامل تمكينه وتلوينه تحت سلطان الشرع وكل تمكين او تلوين لم يستند كل من الحكمين فيهما الى الشرع فهو من اللعب واللهو واذا صح للعارف استقرار تمكينه وتلوينه في بحبوحة الشرع فقد قرئ له منشور السعادة في الحضرة لانه صار مسخرا للسلطان الاسعد صاحب الامر والنهي في حضرتي الملك والملكوت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انتهى كلامه رضي الله عنه ولهذا فان سيدنا الناظم افاض الله علينا من شريف بركاته وفياض نفحاته قال بعد ان اشار الى صحة قدمه بمزج التمكين والتلوين . في حقيقة الشرع الانور المبين

وَقَامَ دَاعِي الْمُنَى لِلدَّسْتِ يَخْطُبُنِي * وَهَاتِفُ الْحَقِّ عَنْ قُرْبٍ يُنَاجِينِي

يقول ان نتيجة مزج التمكين والتلوين بالشرع هي ان قام داعي المنى من رفرف العناية يخطبني للدست اي لمجلس القبول والدست كلمة اصلها فارسية وقد عربت واستعملها الفضلاء واعاظم الرجال في مقولاتهم فداعي المنى خطبني من فضاء الغيب لكن هاتف الحق الذي هو اقرب من حبل الوريد راح يناجيني عن قرب مبشراً بحصول الآمال ودوام العز والاقبال وان الله تعالى اذا وهب عبدا من احبابه نعمة ما استردها ومناجاة القلوب لعلام الغيوب تكون في الصلاة وحالة الصيام وقراءة القرآن وفي حلق الاذكار . ووقت سح

الامطار٠ وفي ساعات الاسحار٠ وللكمل في الليل والنهار والحركة والقرار٠ ومناجاة الحبيب لاحبابه٠ هي من نفحات جنابه٠ وهناك لا وقت ولا زمان غيران نفحات الرحمن تطلب في الاوقات الفاضلة التي ذكرناها وهو سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ثم قال الناظم رضى الله عنه

وَما تأخَّرتُ يومَ الجمعِ عن أدبٍ * الّا وَأضحى حبيبُ القلبِ يُدنيني

يقول رضى الله تعالى عنه لم اتاخر عن مرتبتي التي منحني الله اياها تواضعا وانكسارا لله سبحانه وتعالى يوم الجمع وانعقاد مجلس اهل الارواح الطاهرة اصحاب حضرة الغيب الا وحبيب القلب ورسول الرب صلى الله عليه وسلم تحفني روحه الطاهرة بجاذبة الدنو منه قلت وهذا منبجس من نور قوله صلى الله عليه وسلم «من تواضع لله رفعه الله» والتواضع ضد الكبر وقد قال عليه الصلاة والسلام (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر٠ لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان) فقال رجل يارسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا فقال ان الله جميل يحب الجمال ٬ وقد قال شيخنا واماما السيد احمد الكبير الرفاعي رضى الله عنه اذا رأى الله عزوجل في العبد ثلاثة اشياء ٬ زاده ثلاثة اشياء ٠ اذا زاد تواضعا زاده جاها ٠ واذا زاد سخاء زاده مالا ٠ واذا زاد عبادة زاده عمرا واجتهادا في طاعته ٠ وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه اوحى الله تعالى الى الجبال اني مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال وتواضع سينا فكلم الله تعالى موسى عليه الصلاة والسلام عليه لتواضعه وقال الامام الرفاعي رضى الله عنه التواضع نعمة لا يحسد عليهما

والكبر محنة لا يرحم عليها وقال ما تكبر احد الا من ذلة يجدها في نفسه وقال لسبطه الامام الاقرب محيي الدين ابي اسحق السيد ابراهيم الاعزب رضى الله عنه كن ذنبا ولا تكن رأسا فكم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس وكم اذهبت من دين وقال عروة بن الزبير رضى الله عنه رأيت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وعلى عاتقه قربة فقلت يا امير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال لما اتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فاحببت ان اكسرها ومضى بالقربة الى حجرة امرأة من الانصار فافرغها في انائها وقال الجنيد رضى الله عنه التواضع قبول الحق من كل احد وقال الامام الرفاعي رضى الله عنه التواضع ان لا يرى العبد لنفسه على غيره مزية وقال رضى الله عنه

كن عاناً وارض بصف النعال * لا تطلب الصدر بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة * يكون ذاك الصدر صف النعال

وقال رضى الله عنه لاحد اسباطه الكرام قدست ارواحهم يابني تأخر حتى يقدمك الله وهذا سر قول الناظم رضى الله عنه «وما تأخرت» الى آخر البيت وتدبر ايها المحب حال الامام الرفاعي مع جلالة قدره وسمو منزلته واجماع القلوب والعقول على علو مكانته ورفعة مرتبته وما اعطاه الله اياه من العلم والحكمة والجاه العظيم وكثرة الاتباع الذين لا يحصى عددهم كما اطبق على الاعتراف بذلك المؤرخون والاخباريون ورجال الطبقات من العلماء والاولياء والحكماء عصرا بعد عصر وجيلا بعد جيل وكونه لم يقم لاحد من

ابناء الدنيا ومع ذلك فكان يملأ القربة بذاته ماء ويذهب بهـا الى بيوت الارامل والمساكين الذين لا يمكنهم الخروج فيفرغها لهم ويقضي حوائج العجائز والمرضى والضعاف من النصارى وغيرهم حتى اسلم على يديه منهم خلق كثير وكانوا يسمونه في عصره ابو المساكين والايتام ولم يقل لاحد كبر اوصغر الا اي سيدي ولم يغلظ في نصح ولم يرتفع على احد من تلامذته واتباعه ولهذا فقد رفعه الله في زمانه وقدمه على اعيان اقرانه وشبله الناظم شابهه (ومن يشابه ابه فما ظلم) ثم قال سيدنا الناظم رضي الله عنه

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ وَالاَنِي فَاَيَّدَنِي * وَاَيْنَ عَزْمِيَ لَوْلاَ اَنْ يُوَالِينِي

يقول الناظم الحمد لله قياما بواجب الشكر له سبحانه لانه هو الذي افاض الى الروح الطاهرة المحمدية القدرة فتدلت منها الموالاة وبسببها حصل التأييد للناظم في مقاماته واحواله واطواره والا فمن اين له العزم الذي يحله محل التأييد الذي هو النصر الابدي والفضل السرمدي لولا ان يواليه نبيه الاعظم بموالاة بارئه الاكرم جلت قدرته وتقدست ذاته ولا بدع فالله تعالى قال في كتابه العزيز لنبيه الكريم صاحب الخلق العظيم (ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله) وقال تعالى في مقام القهر لاعداء حبيبه عليه الصلاة والسلام مخاطباً له عطر الله رحابه المقدس (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)وقال بشأنه صلى الله عليه وسلم (وما ينطق عن الهوى) فكل مايصدر منه فهو عن الله سبحانه وتعالى وهو الرحمة العامة والنعمة التامة واليد الفعالة في الاكوان باذن الله ولا اله الا الله وبعد ان اعترف الناظم بعجزه الذاتي وانه لولا العزم المحمدي

المفاض من المدد الرباني لاعزم له حث صاحبه واجتذبه الى الاهتمام كل الاهتمام بخدمته عليه الصلاة والسلام فقال رضي الله عنه

سِرْ يَااَخَا الصِّدْقِ لاَ تَكْسَلْ بِخِدْمَتِهِ * وَكُنْ بِهِ مَلِكاً فِي زِيِّ مِسْكِينِ

امر الناظم رضي الله عنه طالب الحق من اهل الصدق بالسير في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاه عن الكسل فى تلك الخدمة المقدسة المباركة وما هي الا كمال الانتصار لشريعته وحض الناس على التمسك بسنته سيما في الازمنة التي تقصر بها الهمم ويكسر بها فساد الاخلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من عمل بسنتي عند فساد امتي فله اجر مائة شهيد) وقال صلى الله عليه وسلم لابن عمه امير المؤمنين سيدنا الامام علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه (لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) وفي كتاب الله تعالى (ومن احياها فكأنما احيى الناس) وهذا الخير العظيم لا يتم للعبد الا بصحيح السير في طريق العمل بالصدق وقوة العزم والعزيمة وترك الكسل وقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خصال سيئة منها الكسل فقال ارواحنا له الفداء * اللهم اني اعوذ بك من الهم والغم واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من غلبة الدَّين وقهر الرجال * وقال شيخنا القطب الفرد السيد بهاء الدين محمد مهدي آل خزام الصيادي الرفاعي الشهير بالرواس دفين بغداد قدس الله روحه

* يا مبتغي الخير من مولاك سر عجلا * الى التقى فهناك الخير في العجل *
* واحذر مسيرك في نهج الهدى كسلا * فانما الوهن والحرمان في الكسل *

وقال سيدنا الامام الرفاعي رضى الله عنه لا يدخل حظيرة الفوز موثوق الكسل ولا يكون حاس عادته الا المحروم والرجل كل الرجل من يقهر عادته ويمزق رداء الوهن فان الهمة العالية تبلغ صاحبها مكانا من الخير تنذهل له الالباب وهمة العارف العاقل اعلى من العرش فانها لا تنتهى الا الى الله تعالى انتهى كلامه العالي وقال ابن الوردى رحمه الله في لاميته « ما ابعد الخير على اهل الكسل » ثم ان الناظم رضى الله عنه عرف مريده انه متى سار بخدمة نبيه بالصدق غير كسلان وانتهض لبث روح شريعته في امته عليه الصلاة والسلام واندمج بسلك معلمي الخير فانه يصير كالملك رفعة وجلالة حالة كونه في زي المساكين وهنا معنى بديع فان الملوك وعلى الخصوص ملوك الاسلام الذين ايدهم الله تعالى بالحق واستخدمهم لنصرة الشرع لترفع هممهم عن الآمال والاغراض لاغاية لهم ولا امل الا اعزاز كلمة الله وتقوية شأن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفع الامة بعلو الهمة فكأن القائم ببث كلمة الحق المحمدي الناصر للشرع الاحمدي الناصح للامة من الفقراء لما تحقق بهذه الاخلاق انطوت فيه همم الملوك وهو في زي المساكين وان المساكين اشرف صنوف القوم وقد زادهم شرفاً دعاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بنص (اللهم أحيني مسكيناوأمتني مسكيناواحشرني في زمرة المساكين) والمسكنة التواضع لله تعالى اختيارا وقد نص الوترى قدس سره وغيره ان بعضهم مدح الامام الرفاعي رضى الله عنه فقال

اذا نظرت الى الدنيا وهيئتها ... فانظر الى ملك في زي مسكين

ان كان يصلح للدنيا سواه فتى ... فذاك يصلح للدنيا وللدين

وتعبير الطائفة عن بعضهم بالملك لا يفيد المعنى المتبادر انه ملك من ملوك الدنيا بل معناه عندهم انه رجل ملك نفسه وقهرها وغلب عليها وجعلها منقادة له وصار حراً لم يكن تحت رق نفسه وعبديتها اسير اغراضها وشهواتها وقد قال الجنيد رضي الله عنه لو صحت الصلاة بغير القرآن لصحت بقول القائل

اتمنى على الزمان محالا ... ان ترى مقلتاي طلعة حر

يعني حراً لم تملكه نفسه ثم ان الناظم رضي الله عنه بعد ان هيأ همة مريده لهذه الخدمة الشريفة والمرتبة العالية قال له

خَلِّ المَعَابِدَ للأطرافِ تَسكُنُها * وَانهَض بِعَزمِ الَّذي سَوَّاكَ مِن طِينِ

يقول له اترك المساجد والمعابد لاطراف الرجال الذين انحطت هممهم عن خدمة الشرع الشريف وسقطوا لكسلهم عن مرتبة افراغ حال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الامة وما قاموا باعلاء كلمة الله في ملك الله ولا عرفوا شأن العزيمة المحمدية ومعنى الهمة المصطفوية ووقفوا بعيهم مع بطونهم وبقوا حلس عاداتهم وظنوا ان الانقطاع في المعابد والمساجد وكثرة النوافل من الصلاة والصيام هي من المزايا العالية والمراتب السامية والحال ان هذا الشأن عند الناظم رضي الله تعالى عنه وامثاله من اصحاب معالي الهمم هو من شؤن الاطراف . واما شؤن الاشراف فهى التجرد بالهمة الصحيحة والغارة الصريحة لارشاد المسلمين وتجديد كلمة الدين و بث حال النبي الامين في

المؤمنين والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتأييد شريعة رسول الله عليه
اجل صلوات الله بالحجج الساطعة والبراهين اللامعة وقد مر سيدنا الفاروق
الاعظم امير المؤمنين عمر رضى الله عنه على جماعة يتخطون الى المسجد رويدا
رويدا واذا تكلموا خفضوا من اصواتهم فسأل عنهم فقيل له هم المتوكلون
فقال بل المتأكلون الا فليباشروا الاسباب بقلوب سماوية ولينصروا الله
ومدح جماعة من الصحابة الكرام رجلا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان معهم فى سفر فسألهم صلى الله عليه وسلم عن الذي يعلف له دابته
فقالوا كلنا فقال كلكم خير منه فالعارف العاقل همته عالية ونخوته في الله
سامية يباشر الاسباب ولا ينحرف قلبه عن باب رب الارباب وينصر الله
تعالى بتأييد احكام كتابه وبث شريعة رسوله في الامة ليحسب من اصحاب
علو الهمة وفي الخبر الشريف (علو الهمة من الايمان) وقال عليه الصلاة والسلام (ان
الله يحب معالي الامور ويكره سفسافها) فلهذا السر قال الناظم رضى الله عنه
لمريده تخلق بخلق نبيك عليه الصلاة والسلام فانه فعل وتفضل وقطع
ووصل ودل الناس على الله وساق الى حضرة الله وكل اعماله لله فكن مقتديا
به انتصر له باعلاء سنته في العالمين واعمل بحكم شرعه المؤيد المبين تدخل
في عداد الصالحين بشاهد قوله تعالى (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم)
فان العبد اذا نصره الله وثبت قدمه احبه واذا احبه اصلحه واعز امره في
الدارين وجعله بقربه قرير العين ويكون تحت رعاية ولايته سبحانه قال
تعالى (الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) وقد عرف الناظم

رضى الله عنه مريده ان يرى القيام لخدمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم
بعزم مفاض من الله الذي سواه من طين اذ هو قبل ان سواه في بحبوحة
العدم لاشيء فافرغ فيه العقل والبصر والسمع وما انتظم فيه من اللطائف
واقام هيكله واحسن خلقه وشرف صورته واكمل تركيبه وعدّله فاذا تحقق
بهذا النظر رأى سلطان المؤثر وانطمس عن رؤية الاثر وعرف ان القدرة
في كل الامور لله تعالى لا للبشر . فاستعان بالله وتوكل على الله وباشر الخدمة
بصادق الهمة وانتهض اليها بقلب سماوي يباشر السبب ويعتمد في كل احواله
على المسبب وهو يفعل ما يريد . وهناك لا يعطل ولا يستبد . والى ارشاد النبي
الحكيم عليه افضل الصلاة والتسليم يستند . هذا ما لاح للخاطر الفاتر في معاني
هذه القصيدة النضيدة والدرة الفريدة وهي فوق ما تبديه قريحتي القريحة .
وتناوله فكرتي السقيمة الجريحة . غير ان هذا الشرح زاد مقل والعذر عند كرام الناس
مقبول ولا عبرة بجعجعة حزب اللئام فان قائلهم للغرض يسكت وللغرض يقول
﴿ وهنا ﴾ خاتمة وجيزة اشرنا اليها في صدر رسالتنا هذه تذكر بالاقتصار
الكلي نبذا يسيرة من ترجمة سيدنا الناظم رضي الله تعالى عنه وعنا به لتتم
لنا بسيرته المباركة البركة والعناية . والله ولي الهداية . اما سيدنا الناظم فهو
شيخ زمانه * وسيد اقرانه * غوث الوقت * قطب الزمان * ابو على مولانا السيد
عز الدين احمد الصياد الرفاعي الحسيني رضى الله عنه . امه السيدة زينب
بنت سيدنا ومفزعنا * شيخ الامة * المستغاث به في المهمة * مظهر التجليات
الربانية * فلك المعارف الرحمانية * حكيم الاولياء * وولي الحكماء * سلطان ائمة

القوم * شيخهم من عهده الشريف الى اليوم * قطب الاقطاب * علم اهل الحقيقة في كل باب ورحاب * العظيم الهمة * الجليل المساعي * ابي العلمين شيخنا وسيدنا ومولانا السيد محيي الدين احمد الكبير الرفاعي * رضى الله عنه وقد تقدم ذكر نسبه الى جده المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ووالد الامام الصياد فهو القطب الاعظم * والامام المقدم * ذو الشرف الصميم * والمجد العظيم * مهد الدولة * السيد عبد الرحيم الرفاعي ابن السيد سيف الدين عثمان بن السيد حسن بن السيد محمد عسلة بن السيد الحازم ابي الفوارس الحسيني جد الامام السيد احمد الرفاعي وقد تقدم ذكر تسلسله الى الجناب المحمدى في نسب الامام الرفاعي رضى الله عنه فالسيد سيف الدين عثمان جد الامام الصياد لابيه هو ابن عم الامام الرفاعى وزوج اخته . السيدة ست النسب والدة السيد عبد الرحيم واخيه مهذب الدولة السيد علي الرفاعي رضى الله عنهم اجمعين . ولد الامام الصياد قبل وفاة جده لامه سيدنا الامام الرفاعي باربع سنين وذلك عام اربع وسبعين وخمسمائة ولما كبر سلك على يد اخيه السيد عبد المحسن ابي الحسن رضى الله عنه وبه تخرج وتفقه في المذهب الشافعي وتلقى علم التفسير والحديث من الشيخ عبد المنعم الواسطي الشافعي المعبر عنه بمفتي الثقلين اذ ذاك ومهر واشتهر . وملك نفسه الشريفة وقهر واقبل على الله واعرض عن البشر ولا زال يعظم بمدد الله امره وتكبر شهرته ويعلو قدره حتى جاءت سنة اثنين وعشرين وستمائة فقصد الحجاز وزار جده الاعظم صلى الله عليه وسلم وحج واعتمر وجاور في

المدينة المنورة تسع سنين وظهرت على يديه خوارق العادات وبنى فيها الرباط العظيم بالقرب من سقيفة الرصاص يعرف برباط الرفاعي وقد دفنت بالقرب منه اخته السيدة ملكة ثم جاء الى مصر واخذ عنه الائمة من العلماء واهل الاحوال والاكابر وتزوج بحفيدة الملك الافضل واعقب منها القطب الكبير السيد علي ويعرف بابي الشباك صاحب المرقد المنير والمقام الشهير بمصر ثم طاف البلاد فدخل اليمن ورجع الى الشام في سنة ثلاث واربعين وستمائة وبنى الزوايا . وعمت بركاته وشهرته البرايا . واقام بتكين قرية من اعمال معرة النعمان التي هي من اعمال حلب وقصد للزيارة من اقطار الارض واعقب فيها الذرية الطاهرة واحيا الله له الميت وانزل ببركة دعوته المطر ولا زالت تزور رحابه الاسود وتخشع ببابه الرجال والف كتابه الذي سماه (المعارف المحمدية في الوظائف الاحمدية) نصر به السنة وخدم الشريعة وله شعر ارق من النسيم والطف من الروض البسيم منه هذه القصيدة النونية التي امتن الله علينا بشرحها وخدمتها وقد استفاضت كراماته وتواترت براهينه وآياته وهو شيخ قطر الشام وامام اوليائه الاعلام انتهت اليه البيعة العلية الرفاعية في عصره كذا قال الامام ابن السراج الشافعي رحمه الله في كتابه تفاح الارواح وفي الكتاب المذكور نوه بذكره العالي وبذكر ذريته الطاهرة وجماعة من خلفائه واتباعه . قال الوتري بلغت مريدوه الصادقون في حياته الى مائتي الف وهو في زمنه القطب الغوث الجامع الذي لاذت به اعيان الرجال وسادات اهل الكمال من اسود اهل الاحوال وقد بشر به

جده الامام الرفاعي وقال بعدي تزوره الاسود وحين نص على اسباطه الكرام وذكره فقال (احمد انا هو منطوٍ فيّ) ولهذه الاشارة قال شيخنا القطب الرواس رضى الله عنه من قصيدة

﴿ متكين بصرتنا واحمد احمد حجوا الى تلك المنازل واحفدوا ﴾

وقد غاب في سجوده سنة كاملة لا يرفع رأسه واعاده الله . نص على ذلك الوتري والانصاري والمناوي وابنة وجاءه ولي على اسد فامر بعض تلامذته فركب الجدار واستقبله فخجل الرجل وترك اسده واحواله مستفيضة وشهرته كالشمس في رابعة النهار وذريته كالاقمار تسلسلت في بيته الاولياء والعلماء والعرفاء ولولا التزام الايجاز لملأنا بذكره وبذكر آله الكرام الدفاتر وتواتر ان النوبة دقت له يوم وفاته في الفضاء توفي عام سبعين وستمائة عن ست وتسعين سنة ورواقه ومرقده الشريف بمتكين كعبة الطائفين وحرم الزائرين رضي الله تعالى عنه وعن آبائه الطاهرين اجمعين والحمد لله رب العالمين

